



موسكو تبتلع «جنيف 1»... المعارضة السورية لا تستطيع أن تهضم ما وراء أفعال الكرملين، خصوصاً تحجيمه الفصائل المعارضـة المقاتـلة، غير المصنـفة إـرـهـابـية، و «تسـرـيبـ» مشـروعـ الفـيـديـرـالـيـةـ الذي يـشـجـعـ أـكـرـادـ الـبـلـدـ وـ يـحـرـضـهـمـ عـلـىـ رـضـنـ العـيـشـ تـحـتـ سـقـفـ الـدـوـلـةـ الـمـوـحـدـةـ، وـ لـوـ بـُـيـنـتـ دـيـمـوـقـراـطـيـةـ.

وـاـشـنـطـنـ اـبـتـلـعـتـ «ـطـعـمـ»ـ الـرـوـسـيـ، أوـ أـنـهـاـ وـأـنـقـةـ بـ «ـصـوـابـ»ـ خـيـارـهـاـ تـفـوـيـضـ الـكـرـمـلـينـ مـلـفـ الـحـرـبـ الـتـيـ أـدـتـ إـلـىـ مـقـتـلـ أـكـثـرـ مـنـ ثـلـاثـمـائـةـ أـلـفـ سـوـرـيـ، وـمـحـتـ مـدـنـاـ وـبـلـدـاتـ عـنـ الـخـرـيـطـةـ، وـهـزـتـ حـدـودـ أـوـرـوـبـاـ...ـ وـأـنـتـزـعـتـ مـنـ الـعـرـبـ مـاـ يـقـيـ لـدـيـهـمـ مـنـ ثـقـةـ بـوـعـودـ الرـئـيـسـ بـارـاـكـ أـوـبـاماـ الـذـيـ أـجـادـ قـرـعـ الطـبـولـ ثـمـ تـرـكـ شـعـبـاـ فـيـ مـحـرـقـةـ الـجـلـادـ وـحـلـفـائـهـ.

بـاتـ وـاضـحـاـ مـنـ فـصـولـ الـحـرـبــ الـمـحـرـقـةـ، أـنـ تـقـاطـعـ مـصـالـحــ عـلـىـ الـأـقـلــ.ـ يـجـمـعـ أـرـبـعـةـ أـطـرـافـ:ـ أـمـيرـكـاـ الـتـيـ تـخـشـىـ عـلـىـ جـنـوـدـهـاـ وـتـفـضـلـ التـفـرـجــ وـلـوـ أـمـامـ إـبـادـاتـ،ـ وـرـوـسـيـاـ الـثـائـرـةــ لـ «ـكـرـامـتـهـاـ»ـ فـيـ مـوـاجـهـةـ «ـغـطـرـسـةـ»ـ الـغـرـبــ وـ «ـغـدـرـهـ»ـ،ـ وـإـسـرـائـيلـ الـنـائـمـةـ عـلـىـ حـرـيرـ تـدـمـيرـ دـوـلـةـ أـخـرـىـ عـرـبـيـةـ،ـ بـمـاـ يـمـكـنـهـاـ مـنـ ضـمـنـ أـمـنـهـاـ لـخـمـسـيـنـ سـنـةـ مـقـبـلـةـ...ـ وـأـخـيـرـاـ إـيـرـانـ الـحـلـيفـ الـثـانـيـ لـلـنـظـامـ الـسـوـرـيـ وـالـذـيـ لـمـ يـسـتـطـعـ إـنـقـاـذـهـ رـغـمـ إـرـسـالـهـ فـرـقـ «ـالـخـبـرـاءـ»ـ لـإـدـارـةـ الـمـعـرـكـةـ.

موـسـكـوـ تـنـسـقـ مـعـ إـيـرـانـ وـإـسـرـائـيلـ وـأـمـيرـكـاـ،ـ وـطـهـرـانـ وـمـوـسـكـوـ تـدـيرـانـ نـظـامـ الرـئـيـسـ بـشـارـ الـأـسـدـ،ـ وـإـنـ كـانـتـ الرـيـبـةـ الـإـيـرـانـيـةـ وـاضـحـةـ حـيـالـ مـدـىـ إـصـارـ الـكـرـمـلـينـ عـلـىـ التـشـبـثـ بـ «ـشـرـعـيـةـ»ـ الـأـسـدــ.ـ صـحـيـحـ أـنـ الـرـوـسـ مـاـ زـالـواـ يـقـصـفـونـ مـوـاـقـعـ وـمـنـاطـقـ تـحـتـ سـيـطـرـةـ الـمـعـتـدـلـةـ،ـ لـكـنـ الصـحـيـحـ اـيـضـاـ أـنـ لـأـحـدـ يـشـكـكـ بـ «ـمـرـونـتـهـمـ»ـ حـيـنـ تـأـتـيـ سـاعـةـ الـتـسـوـيـةـ.ـ فـقـيـصـرـ الـكـرـمـلـينـ يـُـدـرـكـ أـنـ أـيـ مـفـاـوـضـاتـ جـدـيـةـ لـطـيـ صـفـحـةـ الـحـرـبـ،ـ لـأـبـدـ أـنـ تـكـوـنـ مـعـ الـمـعـارـضـةـ،ـ بـمـاـ فـيـهـاـ الـفـصـائـلـ الـمـسـلـحـةـ «ـغـيـرـ الـإـرـهـابـيـةـ»ـ.ـ وـاـسـتـقـوـاءـ الـأـسـدـ باـسـتـعـادـةـ مـنـاطـقـ مـنـهـاـ،ـ لـنـ يـمـكـنـهـ مـنـ فـرـضـ جـدـولـ أـعـمـالـ لـجـنـيفـ بـمـعـايـرـ الـنـظـامـ،ـ أـيـ إـصـارـاـتـ عـلـىـ الـإـرـهـابـيـةـ»ـ.

أولوية مكافحة الإرهاب. المهزلة أن الجميع يعرف تماماً أن الذريعة ذاتها للتنصل من المرحلة الانتقالية، ستجعل المرحلة في خبر كان قبل أن تبدأ، ما يفسر غضب الهيئة التفاوضية العليا.

أربعة متذمرون على السوريين، على حساب دمائهم... أربعة أيضاً محشرون في زاوية الوقت والتسوية المريرة: طهران المشكّكة التي أجلّت روسيا تسليمها منظومة صواريخ حديثة، وموسكو الساعية إلى خفض موازنة الدفاع لجيشه، ونظام الأسد الفقير من نيات الكرملين، والمعارضة السورية التي تلقت ضربات وخسرت مناطق ومواعق بعد تدخل الروس. وإذا صح أن واشنطن تريد بالتفاهم مع الرئيس فلاديمير بوتين فرض تسوية في سورية، خلال ما تبقى من عهد أوباما، ينتقل قلق النظام وحليفه الإيراني إلى مرحلة حرج، قد تستتبع «مبادرات» مفاجئة من الأسد لعرقلة قطار الحل، ليست من النوع المسرحي الذي اكتسحه دعوته إلى انتخابات عامة الشهر المقبل.

الأكثر مرارة لدى السوريين، أن القطار الروسي الذي تحرّسه غارات على الأخضر واليابس، قد يدخل بوتين أولاً، ولا يصل إلى أي محطة... مسار الحرب لا تحسمه دائماً معركة هنا وكرّ وفرّ هناك، ولا الحرب الجوية وحدها قادرة على إرغام الفصائل المقاتلة على رفع الراية البيضاء.

أما سيناريو العودة إلى الخيار الإيراني، فيعني - رغم استبعاده - إعفاء موسكو من كلفة الحرب، واستكمال انتحار سورية ونهر السوريين. وإذا كان صحيحاً ما أكدته واشنطن عن سحب طهران عناصر من «الحرس الثوري» من ساحات الحرب، فأغلب الظن أن الخطوة مرتبطة بقطار التطبيع الأميركي - الإيراني أكثر مما هي من مستلزمات إدارة الكرملين القتال. وتعيد إلى الذاكرة وقائع النفي الإيراني المتكرر للتفاوض مع الولايات المتحدة على ملفات إقليمية.

من يكسب الرهان، موسكو أم طهران؟ الجواب معروف إذا كانت المنطقة في مخاضها العسير على عتبة خرائط جديدة. ولكن، حتى لو أراد الكرملين تفادياً ما فعله الغرب في ليبيا، وتركه إليها لاقتتال الميليشيات، فأي تسوية مضمونة في سورية، وبين جولة قتال وأخرى تتضخم الأحقاد وألغام وحدة البلد؟ إذا أصرّت المعارضة على رحيل الأسد في بداية المرحلة الانتقالية، فهل يخرب النظام وقف النار، ليستدرج ضربات أخرى روسية، من أجل إنهاء كل الفصائل؟... أم أن القلق التركي - الإيراني من مشروع الفيدرالية السورية وطموحات الأكراد، سيوحد تطلعات أنقرة ومصالح طهران في مشروع تعطيل القطار الروسي؟

الحياة اللندنية

المصادر: